رسائل شتّى

وردت الينا هذه الرسائل فادرجناها بحسب وقت ورودها ولدينا رسائل كثيرة اجلنا ادراجها لضيق المقام فنلتمس المعذرة من اصحابها الكرام

تعالوا وانظروا بمن ابتلاني[1]

ادعاء صاحب "دوران الافلاك"

حضرة سيدي منشئ المقتطف الفاضلين

لا يخفى عمّن يتأمّل في طبائع البشر ان المرء الخامل يتحكك بالعظيم الفاضل طمعًا في الشهرة والوصول الى ما تدنيه اليه امانيّه وتقصيه عنه همته الساقطة وعلى هذا الحكم جرى بعضهم في مقالته المدرجة في العدد ٢٩ و٣٠ من جريدة التقدم الحاوية من الاغلاط العلمية والمعاني المشوشة المبهمة والعبارات الركيكة ما يقطع بكونه جاهلاً لما يدّعي معرفته. فانه بعد ان خبط فيها خبط عشواء في الليلة الدهماء زاد الطين بلّة ان تعرّض لاستاذي واستاذي الفلكي السوري الشهير وقد حدّثته نفسه ان يرمي المذّج بتعرضه له في منالة الراي السديد ليعظم قدره في عيون الجهال وذلك غاية السذاجة فقد عاد خاسرًا مثبتًا جهله لمعانيها وقصور حظه عن ادراك ما فيها قال "عبّر بعضهم (يريد به استاذه واستاذي العلّامة فارس نمر) عن كيفية تكوّن النواة بان دقائق السديم ترسب وتجمع تجمّع الزبد على وجه الماء وقال في موضع آخر انه يتحوّل الى قطع متكاثفة سابحة في مادّة السديم فيشبه خاثر اللبن في مصله وفي هذا التعبير كله من التسامح والتناقض ما لا يخفى على ذي بصيرة". انتهى قول المعترض. ولم اقصد بهذا الردّ المدافعة عن استاذه واستاذي فمثل جنابه لا يحتاج الى من يدافع عنه ولاسيما في هذا البحث الذي شهدت له فيه علماء الشرق والغرب بكثرة العلم وسعة المعرفة ولكني لعلمي انه لا يكترث لان كان مثل هذا المعترض انتهزت هذه الفرصة لتعليم اهل الادّعاء قبح هذه الخلة الذميمة وردّ جماحهم لكي لا يتطاولوا على من يعلو عليهم عقلاً وعلمًا علوّ الثريا عن الثرى

فقل لي ايها "اللبيب البارع" باي عين رأيت التسامح والتناقض في قول استاذك وهذا هو بنصه "ان دقائق السديم تجمع قطعًا تجمّع قطع الزبد على وجه الماء او تجمّع الماء في الجلد بعد رسوبه من

---

(١) المقتطف. يلمعنا من كثيرين ان هذه الرسالة قد شاعت في بيروت قبل طبعها هنا وانها اصابت الخزّ بكرارها لفظة "الشيخ" فاظهرت ما في نفس البعض من الحزازات واستفزته الى تلك ما نسبه لبعض تلامذتنا من التفاتات. كنا بلغنا والله اعلم. اما نحن فيسوءنا ان يكون احدٌ حاقدًا علينا ولاسيما لانا لم نعرض لاحد بسوء ولم نرد لمخلوق شرًا على اننا في ما سوى ذلك لا نعبأ بقول هذا ولا ذاك

البخار" (وكان الواجب عليك ايراد هذا المعطوف لو كنت ممن يعرف العلم وينصف اهله) وقوله "ان جانبًا كبيرًا من السدم يتحول الى قطع متكاثفة سابحة في مادة السديم ... فيشبه خاثر اللبن في مصله" أوضعت الباصرة على تلسكوب استاذك ولم ترَ بها القطع المتكاثفة في السديم متجمعة تجمع الزبد على وجه الماء او أظلمت منك البصيرة فلم تجد السديم كخاثر اللبن في مصله. واني اراك تلغو بالسماح والتناقض وغيرها من الفاظ اهل المنطق والبيان فعلى اي شيخ درست في هذه الايام ومن اللبيب الذي فتح فؤادك بحر بيانه فصرت لا تنظر الاَّ في التشبيه ولا تتفنن الاَّ بانواع الاستعارة على ما سيظهر لك في اثناء الكلام. فلله درك ولله علم شيخك (الذي تخرجت عليه في الادب بعد خروجك من المدرسة الكلية) فلقد ادرك فلك الافلاك ببيانه وسدّ على علماء الهيئة السماء بقوة برهانه

على اننا لسنا نجهل امرك ايها البارع والطبع غلاّب فقد كنت في المدرسة الكلية تزحف في آخر صفّك ولا يدرك عقلك السامي شيئًا من العلوم العقلية والطبيعيّة والرياضية واللغات الاجنبية حتى اضطرت المدرسة ان تسقطك من صفّ الى ادنى منه وكان استاذك المشار اليه يفرغ عليك الجهد لعل العلم يخترق دماغك فيذهب جهدهُ فيك سدًى كما ظهر واشتهر. وكنت مع كل ذلك لا تنفك عن التمرض لابرع التلامذة والطعن فيهم واذا حُصرت تلوّن في المناظرة وتصرُّ على المكابرة حتى صاروا يضربون بك المثل. على أنّا ظننا ان استهجان التلامذة لمثلك الخفّة افنى ادعاءك وعلّك الدعة والاتضاع فلما حُرّكتَ بانَ جوهرك فاذا أنتَ انتَ ذلك المدعي بعينه فلقد صدق قول القائل "ان السليقة لا تُغلَب". ألم يكفِك التطاول على استاذك حتى طمعت بمخطئة العلاّمة العظيم الدكتور فان ديك معهُ لجمعها السديم على سدام فزعمت انك بتطاولك على ذينك العلاّمتين تفوز بالصيت البعيد والاسم العظيم غنيمة باردة. لقد غرّك الغرور واعترتك هزّة الباطل. تقول ان السديم يجمع على سُدُم كما هو التباس ولا تعلم ان جمعهُ ايضًا سدام كما قال في القاموس "السديم كامير الكثير الذكر والضباب الرقيق الخ ج اسدام وسدام" انتهى [1] على انك لواسع علمك تخطئ العلماء وتفتر بقول شيخك ولو خالفه الفيروزابادي في قاموسه فيا لعلمك ويا لعلم شيخك. الاَّ اني لا ارى ما مدخل المفرد والجمع في المباحث الفلكية وما وجه الانتقال من السماء والسدام الى اللغو بالكلم والكلام الاَّ ان يكون شيخك قد فتنك بنحوه كما سحر عقلك ببيانه فصرت لا تفرق بين السماء والسيارة والشموس والاسماء

(١) رأيت في رسالة أخرى طبعت في العدد ٣٤ من التقدم ان هذا ليس مراد القاموس في زعم شيخه بل ان السدام جمع سدم. وقد زاد نقطة في عبارة القاموس تطويلاً على الفيروزابادي لتحويل معناهُ الى غير المقصود فبعث صديقي اللبيب جبرائيل افندي الحداد يستفتي العلاّمة المحرر الشيخ يوسف افندي الاسير الازهري فافتى بالادلة القاطعة والشواهد اللامعة بصحة قول المتنطف وغلط مخالفيه. فعسى ان تطيع الفتوى فيعرف المخطئ من المصيب

والافعال والحروف بل تحسب انك ان كنت تفهم في هذه تفهم في تلك وانك ان حفظت مفردات اللغة علمت سنن الكواكب . هذا ولقد كنتَ بيننا تُرقّى بغريب الالفاظ وتفخر باستعمال مهملها ولم يعهدك احد تفخر باللغات الاجنبية . امّا الآن وقد خلا لك الجوّ فمالك تدّعي معرفة الانكليزية وانت عنها من القاصرين ونقول لبيان جهلك ان السديم تعريب nebulous ولا تدري ان nebulous نعت ترجمته سديميّ وان السديم nebula وهي كلمة ماخوذة من اللاتينية ومعناها فيها الضبابة او السحابة . وعساك ان لا تبادر الى مخطئة علماء اللغة من الانكليز كما بادرت الى مخطئة علماء الفلك . فلا تستأنف ان فرقوا بين الاسم والنعت فلعلّ شيخك لا ينكر ان العقلاء يفرقون بينهما . ثم قلت " ان سديم المراة المسلسلة كشفه سيمون ماريوس " أتلقنت ذلك من شيخك الجديد ام لم يرضِك ما علمك اياهُ استاذك القديم . اما نحن فقد تعلمنا ان هذا السديم كُشف منذ الف سنة او اكثر ولكن لم يهتمّ العلماء به الاّ قليلاً حتى حوّل ماريوس الافكار اليه سنة ١٦١٢ ولو لم يُنسِك الادعاء العلم والعقوقُ فضل استاذك عليك اذكرت ان هذا السديم كبير تراهُ العين المسلحة بلا مِنْظَر ولا يخفى عليك ان صحاح العيون كانوا كثارًا قبل ماريوس فرأوهُ ولا يزالون كثارًا فيرونهُ اليوم وان كنتَ لا تراهُ انت . وقلتَ "وكلها (اي السدم) لا يرى فيها شيء من النجوم حتى بالتلسكوب" . فقل لي باي تلسكوب نظرت واي عين على التلسكوب وضعتَ حتى لم ترَ في السدم نجومًا . فان كانت عينك الثاقبة لا ترى فذلك لا ينفي ان العيون السالمة ترى ألا تعلم (ولا عجب ان لم تعلم) انهُ يُرَى في السديم الكبير الذي في نصاب سيف الجبار نجوم عديدة اوضحها اربعة موضوعة فيهِ على شكل المستطيل . ومثل سديم سيف الجبار كثير غيرهُ . وان زعمت ان مرادك غير ذلك فقُلهُ بيّنًا بُعد قولك عن الصواب . فهذه خمس غلطات فاحشات جاءت في بضعة اسطر علقها على مقالتك وهي لا تصدر عمن كان لهُ في العلم ادنى المام فكيف حدثتك نفسك ان تتعرض للعلماء المتبحرين والكتبة المجرّبين

هذا وكل منتقد يرى لاوّل وهلة اختلاط الصور الطبيعية في ذهنك وابتعاد المعاني العلمية عن فهمك فانك بعد ان خبطت في مقدمة مقالتك على غير هدًى قلت " ثم أخذ ما حولها (اي النواة) يتكاثف شيئًا بعد شيء ويلتف على ذلك المركز حتى تكوّن هناك كتلة مستقلة بنفسها " فقل لي عن اي شيء تستقل الكتلة بنفسها أعن السديم الذي هي فيهِ بل هي جزء منهُ ام عن تصورك الذي لا يتصوّر الاشياء الاّ مغشاة بضباب الوهم مظللة بظلال الجهل حتى قلت " فصار السديم الباقي حولها اشبه بكرة هوائية من الغاز " (وهذا لغزٌ من الالغاز) والظاهر ان قصدك منهُ نقض ما قبلهُ فلا يفهم لك القارئ معنًى وهو غاية مناك لان ذلك يجعل مقالتك "صحيحة الفوائد قريبة المنال" في عيون الفهماء . فاعلم ايها "اللبيب" ان الكتلة لا تستقل عن السديم بل تبقى فيهِ كانها " خاثر اللبن في مصلهِ " فان خانتك

الباصرة فلا تخنك البصيرة . ثم قلت غلطًا قولاً لا نعيدهُ وعدت فاصلحت الغلط بالغلط بقولك "وبالقوة الجاذبة الى المركز مع القوة الدافعة عنهُ اخذت تلك الكتلة تستدير على هيئة كروية ويصح قطرها الاستوائي". فهب ان غلطكَ قبل الاصلاح كان مسبباً عن ادارة التقدم كما ادَّعيت فقل لي كيف "اخذت تلك الكتلة تستدير على هيئة كروية" ألا تعلم ان القوة الدافعة عن المركز والجاذبة اليهِ تجعلان شكلها اهليلجيًا لا كرويًا . وفي اي فنٍّ من فنون الرياضيات تعلمت ايها "اللبيب البارع" ان القطر يتسع ألا تدري ان قطر الكرة خطٌّ هندسيٌّ لا عرض لهُ والاتساع لا يكون في الخطوط فاوكنت تفهم كلام اهل العلم لقلت يطول قطرها الاستوائيُّ . فبَّن شيخك الجديد الذي لا يفرق بين الخط والسطح بل "يهزّ المعاطف ويطعن على كل عارف" ويفريك ان تتصدَّى لاهل العلم وتطعن على ذوي الفهم. وقلت "وبزيادة هذا الفلص اخذ دوران الكتلة بتزايد عند المحيط" فقل لي يا صاحب الفوائد "الغريبة المنال" ما فائدة قولك عند المحيط ان كان لهُ فائدة غير كشف حالك وبيان مقدار علمك. أنسيت كلَّ حكمٍ من احكام الرياضيات والطبيعيات حتى لم تُعد تستطيع ان تدرك برهان استاذك في منالهِ الرنَّانة فتتعلم منهُ ان كل اجزاء الكتلة تسرع دورانًا الاَّ ما كان منها في المحور تمامًا. فقولك عند المحيط تحصيل حاصل من وجهٍ وخطأٌ من آخر ولا يُفهم معنًى مقصودًا

وقلت "حتى توازنت قوتا الجذب والدفع المذكورتان وعند ذلك صارت الاقسام الاستوائية تدور بقوة مستقلة عن الاقسام الداخلية" فان كان مرادك افهام العامة ما تكتب فمن يفهم اقوالك الغامضة هذه وان كان مرادك الكتابة لاهل المعارف فلمَ تكتب في ما لا تعرف. قل لي اين تتوازن القوتان الجاذبة والدافعة ولمَ ان كنت تعلم . وما فائدة قولك ان الاقسام الاستوائية تنفصل عن الاقسام الداخلية . ألا تعلم انها تنفصل عن الاقسام الخارجية ايضًا فلا يبقى بينها وبين الكتلة الاصلية ادنى اتصال فاكرم بفوائدك هذه ما اقرب منالها

وقلتَ "وذلك عام في جميع الافلاك من فلك شمسنا وغيرها من الشموس" فاين انت غفر الله غفلاتك أتجهل ان فلك الكوكب هو مدارهُ او تزعم ان الافلاك اجسام لها وجود ام هذا علم شيخك نقلهُ اليك عن الاقدمين فالفلك ايها "اللبيب البارع" حيّز لا غير وليس من المادة بشيء حتى يتكوَّن كما يتكوَّن الكوكب ولكن حلا لك المجاز وصبوت الى البيان فالفلك والكوكب في علك سيان وقد فاتك المطابقة لمقتضى الحال ونسيت ان تلبيس الحقائق الفلكية ثوب المجاز مذبان ومحال . ومن ادراك ان الكواكب تكونت على ما قلت حتى قطعت في الحكم كانهُ حقٌّ راهن وكبار العلماء وصغارهم لا يجترئون ان يقطعوا في ذلك حكمًا بل كل ما يذكرونهُ انما يذكرونهُ في معرض الظن والاحتمال . وقس على ذلك مجازفتك في قولك "كل واحد من هذه النجوم عالم ذو نظام شمسي كعالمنا ونظامنا"

وهو يقطع بقلة علمك على ما فيه من الحشو ودلائل الركاكة ومثلة قولك "انها كلها مع دورانها على محاورها تنتقل من مراكزها" فلا تميز بين الكل والبعض ولا تعرف الثابت اليقين ما هو في معرض الظن والريب

ولما كانت اغلاطك اكثر من ان تحصر في مثل هذا الفصل المختصر ضربت صفحًا عن الكثير الباقي وخصصت لك النصيحة ببيان فساد قولك "فلا يثبت شيء منها (اي النجوم) في حيزه مطلقًا خلافًا لما كان عليه جمهور متقدمي الفلكيين" انتهى. فاعلم ايها "البارع اللبيب" ان الفلكيين المتقدمين لم يكن جمهورهم على ما توهمت وانما سموا الثوابت ثوابت كما يسميها المحدثون اليوم. قال النظام في شرحه على التذكرة "وسموها بالثابتة اما لقلة حركتها وهذا على سبيل التجوز او لثبات ما بينها من الابعاد على وتيرة واحدة لم تختلف في المنظر قط". فهذا ما كان عليه جمهور المتقدمين لا ما قلته فانهم لم يقطعوا بان الثوابت لا تتحرك كما زعمت

والخلاصة ان كل من يقرأ مقاله هذا المدعي "البارع" يجد فيها من الغلط والتعنيد والمجازفة اصنافًا. ولقد ظن الهجوم على العلماء سهلاً فلجأ الى العقوق وجحد الفضل ليحرز لنفسه اسمًا رفيعًا في العلم ويشتهر بين ذوي الفضل فساء فأله وخاب ظنه واشتهر في اللااً أمرهُ. واني لم اكشف حال علمه الاَّ افتداء له مما يوصله اليه ادعاؤهُ فان انتصح فلنفسه وان بغى فعليها. ونحن نسأل استاذنا الفاضل عذرًا فلا يحسب مناظرتنا بابًا للشقاق بين تلامذته فاني لم اناظر الاَّ نصرةً للحق وتنزيهًا لشان ذوي العلم والفضل فلا يسهم ادعاء المدعين ولا يضرهم حسد الملتنين نعوم شقير

فتوى الائمة الاعلام في السديم والسدام

حضرة سيدي الفاضلين

لولا علمي بالاخلاق التي فطر عليها المتطاول على المتنطف الاغرّ والاطوار الغريبة التي اتّصلت بالارث اليه والدواعي التي تزيّن له قبح فعاله وتفسد ذوقه فلا يحسّ بغلاظة اقواله لعتبت عليه كيف انكر فضل معلميه الافاضل وانتهك حرمة الكرام الاماثل باقوال فاحشة تمجّها الاسماع وتنبو عنها الطباع قابلاً ان يكون شخصهُ لُعبة بايدي اللاعبين واسة سترةً لكبد الحاسدين وعلة اضحوكة على السنة العالمين ولكن العتاب ضائع معهُ ومع اترابه والنصح يذهب عبثًا فيه وفي اصحابه

اما غرضي من هذه الرسالة فمنزّهٌ عن الخساس لا اقصد به ثناء غليل الحسد ولا الطعن على الناس واللدد وانما قصدي اظهار حق اليقين نصرةً لاهل الصدق والفضل وتنكيسًا لراية المعتدين الظالمين

قال المقتطف الاغرّ في الجزء العاشر منهُ جواباً على سؤال ورد عليهِ مني ان الفيروزابادي يجمع السدم في القاموس على سِدَام. وعبارة القاموس والسدم كامير الكثير الذِكر والضباب الرقيق او عامٌ وماء مسدّم كمعظم ومدم ككتف وجبل وعنق مندفقٌ ج اسدام وسِدَام. فساءت هذه الحجة القاطعة بعض المشترين بسترة ذلك المتطاول فزاد نقطة بين لفظتي عام وماء تطاولاً على الفيروزابادي "ليقلب الكلام الى مرادهِ" وفي عين التهمة التي اتهم المقتطف بها زوراً وبهتاناً كانهُ ذهل عن قول القائل

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتاتي مثلهُ عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

وزعم ان "الجمع المذكور انما هو للسدم بلغاتهِ لا للسدم ولا لكليهما" وان جمع السدم على سدام "هو الغلط المحض والجهل التام" الخ . ولما كان البحث مع هذا المدّعي واللاعبين بهِ يطول على غير طائل قصدت ابرام الحكم في هذه المسألة على وجهٍ لا يراجع فيهِ عاقلٌ ولا يخالف الاّ المكابر المحاول فبعثت استفتي فيها مَنْ تنبّأت فتوى هذه الاقطار ظلال براعتهِ وسالت مسايل المسائل في جياد براعتهِ العلاّمة المحرر الشيخ يوسف الاسير برسالةٍ هذه صورتها

حضرة العالم العلاّمة والحبر البحر الفهّامة اللوذعي المحرر فضيلتلو الشيخ يوسف افندي الاسير طالت سلامتهُ

ما قولكم دام فضلكم في قول الفيروزابادي في القاموس "والسدم كامير الكثير الذِكر والضباب الرقيق او عامٌ وماء مسدّم كمعظم ومدم ككتف وندس وجبل وعنق مندفق ج اسدام وسِدَام" انتهى. أيصحّ ان يكون قولهُ اسدام وسدام جمعاً للسدم والسدم كليهما او يختصّ بالسدم دون السدم. وعلى كلٍّ فهل جمع السدم على سدام غلط . ألاَ يحسب السدم وصفاً كفعيل بمعنى الفاعل فيجمع على فِعال . افيدونا لا زلتم لاهل العلم ذخراً وللوطن كنزاً وفخراً الداعي

احد طلبة العلم الشريف
جبرائيل الحداد

فاجابني بما ياتي

"الحمد للمهم الصواب ان من مارس القاموس المحرر وعرف مقاصدهُ يقول ان مطمح نظرهِ لذكر المجموع السماعية اكثر من القياسية فانهُ يتركها اعتماداً على معرفتها من كتب العربية كالصرف والنحو فلذلك انا اقول ان قول القاموس ج اسدام وسدام يعمّ سديم بوزن اميرٍ سواء قلنا انهُ فعيل بمعنى فاعل وصفاً فيكون مثل كريم وكرام ومريض ومراضٍ ام قلنا انهُ اسم كفصيل وفصال

كما يعلم من النية ابن مالك وشافية ابن الحاجب ومفصّل الزمخشري في ابواب الجموع ولا يعترض بانهُ في الاسم قليل اعني فِعالا في فعيل الاسم لما قلنا من حرص صاحب القاموس على ذكر القليل والنادر دون الكثير الشائع على ان اشتقاقهُ يرجّح انهُ وصف وتفسيرهُ يرجح بل يقطع بكونهِ بمعنى فاعل وهذا كثير وان قيل انهُ سماعيٌّ والله تعالى اعلم

الفقير

العود احمد

يوسف الاسير

وقد نصّ الزمخشري وابن الحاجب على ان الفصيل اسمٌ" . انتهى

فثبت بذلك امران على نفس الحسود مرّان اولهما ان قول المتنطف الاغرّ هو الصحيح الثابت ودعوى غيرهِ فاسدة ساقطة والثاني ان السديم يجمع على سِدَام كما اثبتهُ ائمة العربية العظام. والتغليط في ذلك هو "الغلط المحض والجهل التام" وهذا ما كان علينا ان نثبتهُ . فقل لمن أثار الفِتَن وادّعى انهُ اعتزل تأمّ بعد هذا بقول المثل سبق السيف العذل فقد "كُشِفت العيوب وعرف المغالب من المغلوب"

جبرائيل الحداد

سيدي العالمَين العاملَين منشئي المقتطف الفاضلَين

لقد ابتغى المدّعي "البارع اللبيب" الشهرة فنالها ولكن على التطاول ورام بعد الصيت فحازهُ ولكن على الادعاء وقد خالف ليُعرَف وتلقّف من مغربهِ ومغويهِ ما تلقّف فقال ان جمع السديم على سِدَام "هو الغلط المحض والجهل التامُّ بامر اللغة" فبعثت استفتي في ذلك "العلماء والسند مَنْ تنكُّ سهام افكارهِ الزرد" امام الفضل والادب صاحب الفضيلة العالم العلاّمة الشيخ ابرهيم افندي الاحدب فتكرّم بالجواب التالي

جناب الاديب المنشئ البليغ اسكندر افندي شاهين المحترم

وردت عليّ رسالتكم المبهة المتضمنة السؤال عما اذا كان جمع السديم على سِدَام غلطاً الى آخر ما كتبتم . . . .

اما جمعهُ على سدَام فالظاهر من عبارة المفصّل انهُ سائغ حيث ذكر ان فعيلاً يجمع على فِعال ومثّل لهُ بفِصال جمع فصيل وهو كسديم اسم جامد اذا قلنا بجمود سديم ولم يفصل في جمع فعيل بين الاسم والصفة . وفي شرح الشافية للعلاّمة الرضي ان فعيلاً قد يُجمع على فِعال تشبيهاً بفعيل الوصف نحو ظراف وكرام بعد ان ذكر انهُ يجمع على فُعُل نحو قُضب وعُسُب ورُغُف وسُرُر في

جمع قضيب وعسيب ورغيف وسرير وعلى فعلان نحو رغفان وكثبان وقلبان . وعلى افعلاء نحو انصباء وأخمساء غير ان المذكور في الخلاصة وموادّها ان فعيلاً الاسم يجمع على فُعُل نحو قُضُب واما الصفة فعلى فعال نحو ظراف بشروطٍ مذكورة في محلها . فحسب القائل بجمعه على فعال اطلاق المنفصل وعبارة الرضي . ولا يقال ان جمع سديم على سدام خطا لما ذكرناهُ كما لا يخفى على المنصف الاديب والذكي الاريب هذا ما حدّه قلمي القاصر وإملاهُ ذهني الفاتر اجابةً لسؤالكم والله تعالى اعلم

في ٧ رجب سنة ١٣٠٠ (مكان الختم) الفقير اليهِ سبحانهُ
ابراهيم الاحدب

فثبت معنا بهذه الفتوى القاطعة والشواهد الساطعة ان جمع السديم على سدام صحيح ومَنْ يزعم انهُ خطأ فقد ارتكب الخطاء المضاعف ومن يقول انهُ جهل بامر اللغة فانهُ جاهل مركّب. "فواخجلا" لِمَنْ كان مثل محرّك هذا الماحك المدعي كيف يقضي الايام والسنين على حفظ المفردات ويرجع بعد ذلك خاسرًا لا يميّز الصحيح من الفاسد في اسهل المسائل . هذا ومعلوم ان حفظ الالفاظ لا يستصعبهُ اصغر الاطفال سنًّا واقلهم ادراكًا . فان كان هذا علمهُ فيها بعد ان قضى الحياة عليها فكيف يكون لو تحرّى الخوض في المسائل الدقيقة اللغوية او تصدّى للبحث في العلوم الطبيعية والرياضية والنظر في الاقوال الفلسفية والمباحث العقلية اسكندر شاهين

ثم وردت علينا الرسالة الآتية من حضرة صاحب المكرمة العالم الفاضل السيد قاسم ابي الحسن افندي الكسني الشاعر الشهير فاثبتناها بحروفها

حضرة العالمين الفاضلين منشئَي جريدة المقتطف الغراء حفظهما الله

ورد في العدد ٣٥ من المقدم بعد كلامٍ دلّ على تهافت قائلهِ ما نصّهُ : وليعلم ساداتنا شيوخ اللغة وائمتها مكانهم من المقتطف على مكانهِ منهم ولهم بعد ذلك الراي في قبول منا لو او ردّهِ ان وجدوا ثمة للرد اهلاً وللاجابة محلاً . انتهى . فليعلم هذا القائل المحاول ان سادتنا شيوخ العربية وائمتها راضون عن المقتطف المفيد في ما قال مسلّمون بما حكم فهم لا يجهلون سلامة نيتهِ ولا ينكرون صدق خدمتهِ للوطن ورغبتهِ في نشر العلم واحياء الصناعة بل يعلمون علم اليقين ان كلامهُ صحيح واجب وسهمهُ سديد صائب فان الذين يدّعون العربية غير قليلين في هذه المدينة والمتعنّتين غير مجهولين وقد اتخذوا الشيوخية في العلم وجعلوا دأبهم التعرض لاهل الفضل والذكاء طمعًا في بلوغ العلياء والدخول في مصاف العلماء . لكن العلم بريء منهم والعلياء بعيدة عنهم

النصح افضل ما يباع ويشترى

وردت الينا هذه الرسالة من بعض ادباء بيروت وليس لنا معرفة شخصية بجنابه فادرجناها شاكرين لما فيها من الاقوال التي تشف عن حميته الوطنية وغيرته على العلم والادب

ابى المدّعون الاّ ان يكونوا عثرةً في طريق العلم فاثاروا على ذويه حربًا يصلونها بنار الحسد والكمد رغبةً منهم في تقويض ركن العلم وهدم منارهِ . ومحو رسومهِ واضمحلال آثارهِ . فستروا وراء الحجاب . وقرعوا بمستعارهم الباب . وتحرّشوا بالمنتطف يرجون منهُ منالاً . فانقلب عليهم ذلك المنال وبالاً . حيث غمضت على مداركهم حقائق اسرارهِ العلية . ونكاتهِ الادبية . وقد تهتكت استارهم . وانكشفت للعيان اخبارهم . فاذا هم من ماحكي اللغة الذين اقتصرت معارفهم على اعراب ضرب زيدٌ عمرًا . ولم في التطاول على العلماء الاعلام سوابق غير سوابق دارت عليهم فيها رحى الدوائر . فانقلبوا على الاعقاب لا يعون جوابًا . ولا يفقهون خطابًا . على ان التحرش باهل العلم" علّة في مخاخ" الجهلاء من اصحاب الاقلام . فهم لا ينثنون عن معاودة القدح في العلماء . والطعن في الادباء . مما يصدق عليهِ قول القائل : ان العلم في يد الجاهل كسيف في يد مجنون شرس الاخلاق تكثر منهُ في الوجود المضار . ولا يقرّ لهُ في الشرّ قرار

فيا ايها المستتر الظاهر . والمناضل الخاسر . اي مؤلّفٍ لم ترمهِ بشرر قدحك البارد . واي مؤلّفٍ لم تعتدِ عليهِ بشوارد فكرك الخامد . ولم نرَ لك الى الآن في عالم المؤلفات حسناء من مبتكرات هذا العصر . تشفع بك وتمحو سوادًا خُطّ باعمالك على صفحات الدهر . وغاية ما رأيناهُ اياتًا باردة . ومعانٍ شاردة . فما الذي جرّك الى التحرش بمن جعل همهُ خدمة الوطن والعلم . ألم تعلم ان محرّري المنتطف الاغرّ يجبون الليل في استكشاف اسرار الآداب حرصًا على تثقيفك وتنويرك ويصرفون ماء العين في المطالعة والتحرير والتهذيب والتحوير رغبة في تعليمك وتهذيبك وهل فاتك ان الوطن في احتياج لما يكتبون من ضروب العلم والصناعة لا لما تتشدق بهِ من التمويهات التي لا تروج لها عند اهل الادب بضاعة وقد جئتك الآن نذيرًا ناصحًا فلا تكسر "مزراب العين" لتشهر اسمك فيزيدك الناس ملامًا على ملام وتتكسر فيك السهام على السهام

سأني قصيري

حضرة منشئ المنتطف الفاضلين

بعد تقديم ما لائق بحضرتكم من الاكرام والاحترام اعرض ان ما حملني على كتابة هذه الاسطر هو انني بينما كنت ماراً بشارع من شوارع هذه المدينة رايت الناس مجتمعين افواجاً وقد وقف في وسط كل فوج منهم

رجل يقرأ جريدة من الجرائد المحلية فلحظت ان السامعين غير راضين بما يتلى عليهم وكان هذا يتوعد وذاك يتهدد وآخر يتأفف وآخر يتاسف وهذا يقول واذا اراد الله نشر فضيلة .... وآخر ومن ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها فتقدمت لاعلم الداعي لذلك الكدر فاذا الجريدة جريدة الشقدم وقد كتب فيها مقالة طعانة عنوانها الرد على المقتطف بقلم "بارع" من بارعي مدينتنا فاستاذنت القارئ بمطالعة تلك المقالة فحررت فيها على ما لم اكن انتظرهُ من شاب ينسب الى سورية ولا اشك انها قد كدرت كل من سمعها الاَّ الذين ختم الله على قلوبهم. كيف لا وهي تتضمن الطعن على جريدة المقتطف الدرة اليتيمة التي تسبي فؤاد من يطالعها بعين لم يغشها الغرض الاعمى. والشمس التي اشرقت فانارت اقاصي المشرق فاستمد من سنى فوائدها الاقصى والادنى وانعكس نورها الى المغرب فاتاها من افاضل قومهِ واد بائهِ خالص الشكر والمديح لما راوا فيها من الاستحقاق والاهلية. وكيف نتنزع عن تقديم الشكر لها وهي لم تفتر منذ نشأتها الى هذه الساعة عن ذكر الحقائق العلمية والفوائد الصناعية فضلاً عما يعالي منشئاها الفاضلان من المشقة في الاجابة عما يطلبهُ منهما ابناء الوطن. اما الداعي فلما رأى ما قذف بهِ على هذه الجريدة الغراء "البارع اللبيب" المشار اليهِ احد شاربي مائها لم اقتدر ان اتمالك نفسي عن اظهار ما خطر في بالي فاتيتكم راجيًا ان تكرموا بادراج هذه الرسالة في منتطفكم الاغر ولو كان بضيع جانب من الوقت على كتابتها ومطالعتها على انهُ يشقُّ عليَّ جدًّا ان اتعرض للبحث في مثل هذا الموضوع السمج. اعاقبهُ الذي يتعمد عنهُ كل من يرغب في تقوية الالفة بين ابناء وطنهِ ولكني رايت نفسي غير قادر على الصمت عما هو فرض عليَّ وعلى كل من يطالع هذه الجريدة فبحثت بما يلي راجيًا من "البارع اللبيب" ان لا يجهد نفسهُ في انتقاد عبارتي لاني اقرُّ جهارًا بقصور باعي عن معرفة "اسرار اللغة ودخائلها"* اما ما جال في خاطري من الكلام فهو هذا:

اولاً انني لما كنت اقرأ تلك المقالة الطعانة اوما تضمنتهُ من الانتقاد اللغوي خلت نفسي منتقهقرًا الى الازمنة التي كانت تنقضي على المجادلات النحوية والمناقشات اللغوية وما شاكل ما افاد في حينهِ ولكن زاد حتى افضى الى التاخر في زماننا بما نضيع عليهِ من الوقت الثمين خلافًا للذين يقضون اوقاتهم في التفتيش عن الحقائق العلمية والتجارب الصناعية التي آلت الى تقدمهم ونجاحهم ووصولهم الى ما هم عليهِ الآن من العمران والثروة. الا تعلم يا صاح ان ما كان يضيعهُ الواحد منا على الاعتراضات اللغوية والنحوية كان يقضيهِ بعضهم وُطد في البحث عن الحقائق الطبيعية والتجارب الصناعية التي ادَّت الى اختراع الآلة البخارية التي تستعمل في كل عمل يحتاج الى قوة. وهل خفي عليك ان ما كان يبذلهُ العالم فينا على الرد والاعتراض على المذاهب اللغوية والمناقشات النحوية كان يطالع فيهِ برنارد بالسي المقالات الكيماوية ويجمع العقاقير اللازمة لاكتشاف دهان الخزف. وهل فاتك ان ما كان يضيعهُ الواحد منا على الجمع والتفتيش كان رتشارد اركرايت يحاول فيهِ اختراع آلة الغزل التي انت العالم بفوائدها لا تحصى. وكذلك ما كنا نقضيهِ على المدح والذم نثرًا ونظمًا كان صاحب الهمة كريستوفورس كلمبوس يسعى فيهِ سعيهُ الحميد الذي آل الى اكتشاف العالم الجديد. على اننا لو سلكنا الجادة التي سلكها اسلافنا العرب قبلنا فاكتفينا بما وصلوا اليهِ من اللغة وعكفنا على سائر العلوم والفنون كما عكفوا لم يكن بيننا من "يقدر قيمة كل مقالة بالفاظها وعدد نكاتها البديعية بل بمعانيها والفوائد التي فيها" خلافًا لما يفعلهُ بعض مدعي العربية الذين يطالعون المقالات العلمية والصناعية لا ليستفيدوا من معانيها بل ليحللوا الفاظها وتراكيبها تحليلاً لغويًا ونحويًا

ثانيًا لا يخفى على صاحبنا "البارع اللبيب" ان جريدة المقتطف جريدة علمية صناعية لا لغوية بديعية وغايتها افادة ابناء الوطن من العامة والخاصة افادةً حقيقية لا وهمية. فيجب ان تكون لغتها طبقتين ليستفيد منها كل

---

* كان المنتظر من "البارع اللبيب" العالم "باسرار اللغة ودخائلها" كما ادعى ان يحسن انتقادهُ اللغوي ولا ياتي بما اتى بهِ من الاعتساف الواضح والضعف الذي لم يخفَ على احد. ولم اتعرَّض للرد على انتقادهِ هذا لتاكدي ان كثيرين غيري يردون عليهِ

من طالعها . ولو تمعن صاحب الرد في المقالات العلمية العالية لرأى هناك من الفصاحة والبلاغة ما يقرّ له المخطئ في ما نسبة الى اصحابها بكلام غير لائق أما المقالات الصناعية والعلمية البسيطة التي يقصد بها افادة العامة فتراها مسبوكة بعبارات صريحة مفهومة مع المحافظة على قواعد اللغة بحيث اذا قرأها الرجل البسيط يفهم معانيها بسهولة واذا قراها عالم خالي الغرض اقرّ بما لكاتبها من المعرفة بقواعد اللغة ومكنوناتها . ومما يليق ذكرهُ ان اكثر الكتب العلمية المولفة بلغة يقصد بها اظهار براعة المولف ومعرفتهِ "بدخائل اللغة" وكلماتها اللغوية لم تفدنا شيئاً ولا يفهمها الاّ من كان له الباع الاطول بمعرفة الكلمات اللغوية . وليعلم "البارع اللبيب" ان ابناء هذا العصر محتاجون الى الحقائق العلمية والفوائد الصناعية اكثر كثيراً مما يحتاجون الى الكلمات اللغوية فلا يسد هذا الاحتياج الاّ من نهج منهج المنتطف الاغر

اما قولهُ "وليعلم سادتنا شيوخ اللغة وائمتها مكانهم من المنتطف الخ" فذاك لا حق له فيهِ بدليل ان المنتطف قد نسب عليه انتقاد اللغة الى الذين يدعون معرفتها لا الى مشايخها وائمتها الان اولئك لا يتعرضون لما تعرض اليهِ هو فانهم يعلمون منزلة المنتطف ومقامهُ وشدة احتياج بلادنا اليهِ كما انهُ يعلم منزلتهم ومقامهم واجابتهم نحوهم

وقولهُ "ان هناك من الاغلاط الكيماوية والفلكية وغيرها الخ" فياليتهُ قضى ما قضى من الوقت على انتقاد هذه الاغلاط عوضاً عن انتقاد ما لا طائل تحتهُ فكان بذلك استفاد وافاد . هذا والي ارجو ان يسح المنتطف الاغر لهذا الداعي بالرد على ما وعد بهِ "البارع اللبيب" من الانتقادات الكيماوية والطبيعية حرصاً على وقت منشئيهِ الثمين

اما ما جاء في مقالتهِ من العبارات غير اللائقة مثل قولهِ "مشتغلاً باثبات وجود عقلهِ" و"واختيلا" و"ليس العجب من جهل المنتطف" الخ فنتركها لذوي الآداب لينظروا فيها ويحكموا بمقتضى علمهم عليها

بيروت جرجي زيدان

شهادتان متناقضتان

ان النبذة المعنونة "بماء بيروت" الواردة في الجزء الماضي اشتغل كاتبها في اعداد موادّها (اي في امتحان الماء على الاساليب المذكورة فيها) نحو خمس عشرة ساعة ثم كتبها في بضع دقائق بينما كان المجمع العلمي يتهيأ للاجتماع . ولما انتشرت قرأها اثنان من قاطني بيروت احدهما وطني والآخر اجنبي وشهدا فيها شهادتين متباينتين تبينان منزلتهما من العلم والادب . قال الوطني قد اساء الكاتب كل الاساءة لانهُ استعمل لفظة لا تروق لمسامعي فهو جاهل مدّعٍ ماحك ما جراهُ الاّ الهوان . وقال الاجنبي لقد احسن الكاتب كل الاحسان لانهُ عرّفني حقيقة الماء الذي اشربهُ كل يوم فصرت على ثقة انهُ من اصحّ المياه وانقاها وما جزاء المحسن الاّ الاحسان ولما بلغتني هاتان الشهادتان اسفتُ على احوال بلادنا واشفقتُ ان يكون امثال الشاهد الاول فيها كثاراً ولكن لم تلبث شهادتهُ ان انتشرت في احدى الصحف المحلية والمدّعون التقدم في البلاد يزكونها حتى سمعت العلماء والفضلاء "يزينونها" ويتاسفون على نشرها في جريدة كان يرجى الخير منها للبلاد . فثبت عندي ان مَنْ يتعب في خير وطنهِ لا يخسهُ الفضلاء حقهُ ولو بخسهُ اياهُ ذوو الاغراض

نخلي قلفاط

لقد تبازى الرهام

حضرة منشئ المقتطف الفاضلين

قلتم في الجزء العاشر من المقتطف الاغرّ "ان التعنّت في انتقاد اللغة علة مزمنة في مخاخ البعض ممن يدعي العربية هنا والمماحكة في قواعد الصرف والنحو ومعاني الالفاظ مرض عضال فيهم" فردّ عليكم بعض غلمان هذه المدينة ظاهرًا وبعض شيوخها باطنًا ردًّا جاء مصداقًا لكل ما قلتموهُ وتقريرًا لما ذكرتموهُ وثبت عليهم قولكم اقوى ثبوت وصدق فيهم حكمكم اوضح صدق. وقد حمل البعض كلامكم قبل ظهور الردّ على المبالغة فلما ظهر الردّ بما فيه من التقريع والقذع ايقنوا انكم بالطبائع ادرى وبالحكم على تلك الشرذمة اخبر واحرى. ولم يكن من قصدي ردّ تغليطاتهم عليهم فنساد انتقادهم اوضح من ان يوضّح ولكن ساءني ما تشفّ كتابتهم عنهُ وهو رغبتهم في تأخّر الوطن لا في تقدّمهِ وتعصبهم على تحويل الاذهان عن اجتناء الفوائد العلمية واحراز المنافع الصناعية الى المناقشات الباطلة والمماحكات الفارغة. فقلت اني اريهم قصر باعهم في اللغة التي يدّعون معرفتها لعلّهم ينطنون الى قصور معارفهم في العلم وعجزهم عن الجولان مع فرسان هذا الميدان فان كان قد سكن ما جاش في نفوسهم من الحسد والغيرة والحمة اتخذوا كلامي كلام نصوح وارتدعوا عن الغي والّا فعلى الباغي تدور الدوائر.

اصدق شاهد على "تعنت هذه الشرذمة في اللغة ومماحكتهم في قواعد الصرف والنحو" انتقادهم على المقتطف الاغرّ ان خبر انّ جاء منصوبًا في عبارة فيهِ وخبر كان مرفوعًا في اخرى والمم ساقطة من "ممن" في موضع والمضارع الناقص المجزوم لم يحذف آخرهُ في لفظة والكسرة ابدلت ضمة والفتحة ضمّة في لفظتين والراء دالًا في لفظة اخرى. فليت شعري هل يؤاخذ المقتطف بهذه الهنوات واصحّ كتب البشر لغةً لا تخلو من مثل هذه العيوب. انظروا قبل المماحكة الى نار القرى فانهُ في صفحة واحدة فقط وهي الرابعة والعشرون قد أبدلت الفتحة ضمةً والصاد ضادًا والكسرة تنوينًا ورُفع خبر كان الناقصة. أيعاب نار القرى على مثل هذه الاغلاط ويندّد بمؤلّفهِ لانهُ سها عن اصلاحها او لان الذي صف الحروف لم يصلحها. فان كانت كتب اللغة التي تنضى على كتابتها السنون العديدة وتراجع مسوداتها مرّة بعد مرّة بعد اخرى لا تخلو من اغلاط كثيرة في صفحات قليلة فهل يُنتقد مثل هذه الاغلاط على المقتطف الّا المتعنّتون المماحكون لا سيما وانهُ جريدة في حجم المجلّد تصدر مرة في الشهر حاوية لكل ما راق وشاق من الفوائد العلمية والفلسفية والادبية والصناعية والزراعية ويصرف جلّ النظر فيها الى تصحيح المعاني وقليلهُ الى الالفاظ * وكيف يخفى على

مدارك المعترضين السامية ان الافعال الناقصة والحروف المشبّهة بالافعال والنواصب والجوازم ترد في كل جزء من المقتطف مرارًا كثيرة فهلّا علموا انه اذا وقع الخطأ في واحدٍ منها دون البنية لم يكن ذلك الخطأ "جهلاً تامًّا بامر اللغة" بل سهو يغضي عنهُ الفهماء. على انهُ لما كانت هذه الامور هي راس مال المعترضين كلهُ فلا عجب ان حملتهم الخُيَلاء على مفاخرة اهل العلم والفضل بسقط المتاع والبضاعة الكاسدة

وزد على ذلك انهم لما عجزوا عن ان يجدوا اكثر من ذلك في المقالات العلمية الدقيقة عدلوا عنها وجعلوا اكثر انتقادهم للنبذ الزراعية والمسائل والاجوبة التي تكتب ابسط لغة ليفهمها ابسط العامّة. على ان فضل منشئي المقتطف لا ينكر بل هو ظاهر كالشمس حتى في ابسط ما يكتبونهُ فان فيهِ من التحقيق المعنوي والتدقيق اللغوي ما يردُّ سهام المعترضين الى صدورهم وكيدهم في نحورهم كما يظهر للقارئ اللبيب مما سنوردهُ مستندين فيهِ كلهِ الى كتب اللغة وابلغ كتبة العرب

هذا ولو كان المعترضون يخطّئون بالصواب لكان علينا احتمال تعنتهم وكان لهم عند العقلاء بعض العذر على ما جاؤا بهِ من النكر ولكنهم لقلّة علمهم في اللغة التي يدّعون التضلع منها وزيادة تطاولهم انقبضت النفوس منهم وانحطّ لديها اعتبارهم. اما قلة علمهم فنثبتها بالحجج القاطعة واما انحطاط قيمتهم فحسبنا برهانًا عليهِ كلام الناس فيهم

(١) قالوا ان قول المقتطف "ما يؤملنا بحسن مستقبلهِ" غلط مضاعف لان أمّل انما يتعدى الى الشيء المامول مثل أمّلَ الثلاثي تقول أملت الخير وامّلتهُ ولا تقول فلان يؤملني الخير او "بالخير". كذا قالوا فاسمع ما قالهُ ائمة اللغة وشيوخها الصادقون قال ابن معروف في كتز اللغة "وامّلهُ الشيء تأميلاً جعلهُ يؤملهُ" وهو نصٌّ صريح واضح على ان أمّل يتعدّى الى الشخص الآمل ايضًا خلافًا لما قالهُ المعترضون فقولهم غلط اوّل. ثم قالوا ان امّل الرباعي كأمّل الثلاثي لا يتعدّى بالباء فلا يقال يؤملني الخير او بالخير. وقال في المهذّب في تعريف الرجاء ما نصهُ. "حتى يبلغ غاية الأمل بالخير" فعدى الأمل بالباء وهو حجّة قاطعة على ان امل الثلاثي يتعدّى بالباء ايضًا. فقولهم غلطٌ ثانٍ. وقال في محيط المحيط في تفسير "رجا الرجل الشيء يرجوهُ . . . امّل بهِ". وهو دليل قاطع على ان امّل الرباعيّ يتعدّى بالباء. فقولهم غلط ثالث. هذا علاوة على ان قواعد النحو تسوّغ تعدية أمّل بالباء اذا وردت على ما اوردها المقتطف. فقولهم اذًا غلطٌ على غلطٍ على غلطٍ وذلك يعدل "الجهل البسيط" على الاقل. وقولهم ان استعمال المقتطف لهُ "غلط مضاعف" غلط "رقّى الى القوّة الرابعة او مال مال الغلط" كما يقول الجبريون ولو اعترض على هذا التعبير المعترضون. ومال مال الغلط يعدل "الجهل المركّب" في عرف

اللغويين فليبقَ محفوظاً في الاذهان

(٣) قال المعترضون ان المقتطف جمع الوبأ على اوبئة وجمعُ الوبإ اوباء والاوبئة جمع الوباء. نقول ان المقتطف لم يجمع الوبأ على اوبئة البتة وانما اورد لفظة الوبإ في جملة والاوبئة في جملة اخرى لشيوعها. ودعوى المعترضين فاسدة واقلُّ ما يقال فيها انها مختلقة وذلك يظهر لكل منصفٍ من مراجعة الوجه ٥٧٨ من المقتطف. ورب قائلٍ يقول فما غرض المعترضين من هذا الاختلاق قلنا احذران نقول ان غرضهم من ذلك "التعنت والمماحكة" فانهم ارباب اللغة وشيوخها وانما غرضهم "معرفة اسرارها ودخائلها" فافهمْ ولا تراجع فيه!!

(٤) "وقالوا ان قول المقتطف "فالوقاية تكون بتلك وسائط الاولى بفصل الحيوانات" خطاء والصواب فصل الحيوانات بترك الباء اذ الفصل هو الخبر. نقول ألا يصحُّ في علم هولاء الاية ان يتعلّق الجار والمجرور في الخبر المحذوف والتقدير الأولى حاصلة او تحصل بفصل الحيوانات أو هذا من "الاسرار والدخائل التي لا يستقيم لفظ ولا معنى الّا بعد الوقوف عليها". انّ اسرارهم لاسرار عائبٍ او قائفٍ محجّبة بحجب الاوهام وانّ دخائلهم لدخائل دسّاسٍ وسواس وقانا الله منها. ولعلهم يقصدون الاختصار في هذا الباب ولو بتخطئة الصواب على نحو اختصارهم بعض كتب النحو والاعراب تسهيلاً للطلّاب!

(٤) وقالوا ان قول المقتطف "ولها خاصّة برم سطح النور" خطا لانه "انما يقال في اللغة ابرام لا برم" كذا قالوا وقال في محيط المحيط "برَم الامرَ يبرمه بَرْمًا احكمه والحبل جعله طاقين ثم فتله. وأبرَم الحبل والامر بمعنى برَمه. وهذا القول حجة دامغة على ان البرم وارد في اللغة بمعنى الإبرام خلافاً لما قالوا. على انهم يتطاولون على محيط المحيط كما يتطاولون على المقتطف وذلك واضح غاية الوضوح من انكارهم لما فيه قبل هذه اللفظة وبعدها. فانهم مغرورون بعلمهم وعلمهم اوهام واضغاث احلام اما نحن فلا نمسك عنهم فائدة فليعلموا ان عبارة محيط المحيط هي عبارة مهذب الازهري بلا مواربة. "وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا". ثم قالوا "ان هذه اللفظة (برم) كيفما كانت في غير محلها" فقل لهم كفى تيهًا فاقضوا غابر العمر على حفظ الالفاظ واحسنوا حفظها فما كل من اراد الخوض في مسائل العلم كان له اهلاً

(٥) وقالوا ان قول المقتطف "ارباحًا بليغة" من استعمال العامّة واما الخاصة (ولعلهم يريدون انفسهم) فانما يقولون ارباحًا فاحشة. وقال مجد الدين بن الاثير والبليغ وصف لكل ما كان عظيمًا شديدًا متجاوزًا حدّ الاعتدال ومثّل عليه بمصاب بليغ. فليحكم المنصفون

(٦) وقالوا ان قول المقتطف "او بالحري" من لغو الكلام المفسد للمعنى. ولم يبيّنوا مرادهم

من ذلك . فجوابنا انهُ لعرفي مسامع الذين لا يدركون وينسد المعنى على الذين يتعنتون ولا يفهمون وأما النبهاء الكرام فيجدون المعنى حيث لا يجدهُ غيرهم

(٧) وقالوا ان قول المقتطف فاكمدّ لونهُ بوزن احمرّ غير منقول عن العرب والصواب كمِد . قلنا ان ذلك لا يعاب على منشئي المقتطف فان اساتذتهما العلماء اصطلحوا على هذا الوزن قياساً على اصطلاحهم في الكيمياء ولو لم يكن مسموعاً عن العرب ولا مشاحة في الاصطلاح . فان قال المتعنّتون ان هذا لا يرضينا قلنا ان ارضاء المتعنت صعب . ولكن اعلموا ان ذلك قد جرى كثيراً بين العلماء فانهم اصطلحوا على الفاظ كثيرة لم تسمع عن العرب قطُّ مع وجود الفاظ بمعناها كالمُثِفّ مثلاً فان العلماء استعملوهُ بدلاً من الشفّاف والشفّاف مسموع والمثفّ غير مسموع بدليل أنّا اتينا على نيّف وستين كتاباً من كتب اللغة التي يستقي منها منشئا المقتطف فلم نجد للمثف اثراً فيها بالمعنى الذي استعمله فيه العلماء . والكتب المذكورة من احسن الكتب التي يُعتمَد عليها كالصحاح والقاموس وزابادي وتاج العروس والمصباح الخ . وقس على المثف الفاظاً تعدُّ بالمئات وسردها من المئات الهينات أفلا يجد المتعنّتون في ذلك مقنعاً

(٨) وقالوا إن قول المقتطف "الجواهر الفردية" خطأ وصوابهُ الجواهر الفردة باسقاط ياء النسبة . وعابوا على المقتطف استعمالهُ بالياء منذ زمان طويل فليعلموا ان اساتذة منشئي المقتطف اصطلحوا هذا الاصطلاح لمناسبة الجواهر المادية التي لم يصطلح علماء العرب عليها ولا على ما يؤدي معناها لعدم ورودها في ابحاثهم فقالوا جواهر فردية كما قالوا جواهر مادية . فان لم يرق اصطلاحهم في اعين المتعنّتين فليأتوا باحسن منهُ في مؤلّفاتهم ان كانوا من العلماء الصادقين

(٩) وقالوا ان قول المقتطف "يتعاطى بيع الاقمشة" خطأ لان "القماش في اللغة ما على وجه الارض من فنات الاشياء واستعمالهُ بمعنى النسيج عاميّ" نقول اولاً ان المقتطف لم يخصّ الاقمشة بالنسيج كما توهموا بل يصح ان يكون مرادهُ منها الامتعة وهو معنى الاقمشة بلا مخالفة كما يصحّ ان يكون النسيج . وثانياً ان ادعاءهم قد حملهم على مخالفة كتب اللغة كمحيط المحيط وغيره وهي بين ايديهم فقد قال محيط المحيط وقُماش البيت متاعهُ . وهي عبارة الجوهري وتاج العروس . وثالثاً قال في محيط المحيط . والقماش عند المولّدين ما نُسج من القطن واربى تاج العروس عليهِ فقال والقمّاش بائع الامتعة وهو مقمش لابسٌ من فاخر القماش هكذا يطلقونهُ وليس القماش الّا ما ذُكر . انتهى . فليحكم المنصفون بعد هذه الادلة القاطعة أعترض المعترضون تعنتاً ومماحكةً ام "جهلاً تاماً بامر اللغة" كما اتهموا صاحبي المقتطف الفاضلين

(١٠) وقالوا ان قول المقتطف "تبطيل السكر" خطأ صوابهُ ابطال السكر لان "التبطيل

لم يرد في اللغة اصلاً لا بهذا المعنى ولا بغيره". وقال في محيط المحيط بطّل الشيء عطله واذهبه ضياعًا وضدّ اقامه . وابطل الشيء ذهب به ضياعًا وخسرًا" . فثبت لنا من ذلك ان التبطيل يأتي بمعنى الإبطال بلا مماحكة خلافًا لما قاله المتعنتون . وقال في تاج العروس والتبطيل فعل البطالة . فثبت لنا من ذلك ان التبطيل يرد في اللغة بغير معنى الابطال المذكور آنفًا خلافًا لما زعموا . فاعجب لهذا "الصلف والادعاء" أرأيت في حياتك عاقلاً يكيل القول جزافًا ويرمي الكلام على عواهنه على حين يدّعي انه من شيوخ اللغة الكاشفين لاسرارها العالمين بدخائلها

(١١) وقالوا ان قول المقتطف "قشرة الارض الجامدة لا تقلّ سماكتها عن ٨٠٠ ميل" خطا والصواب ابدال لفظة سماكتها بثخانتها لان "السماكة لم ترد في اللغة اصلاً" فليعلموا اولاً ان السماكة اخصّ من الثخانة والسميك (ايها المعترض الرقيق) اخصّ من الثخين (ايها الدقيق) فتنازل عن عرش ادعائك واسمع ما نقله محيط المحيط عن العلماء قال "الثخين عند الحكماء الجسم التعليمي وهو حنوّ يحصره سطح واحد كما في الكرة او سطحان كما في المخروط ... والثخن ان كان اخذًا من الاسفل الى فوق يسمى سمكًا". ولكي يقرب فهم ذلك من مداركك السامية نورد لك مثالاً عليه من كتاب تحرير الاصول لاقليدس تاليف نصير الدين الطوسي : قال في مصادرات المقالة الحادية عشرة "المجسّم كلّ ما له طول وعرض وسمك" وايضًا "ان كان الضلع الثابت في الاسطوانة (وهو سهمها) "مساويًا لقطر قاعدتها فسمكها يساوي ثخنها وان كان اطول فسمكها اطول (من ثخنها) وان كان اقصر فسمكها اقصر" (من ثخنها) . هذا وقد كان عهدنا ان الذي نسبت الردّ اليه قرأ ذلك على استاذيه منشئ المقتطف ايام كان في المدرسة الكلية . فلقد ظلمته اذ طبعت الرد تحت اسمه ولم تطلعه عليه والّا فكيف يرى هذا الخطاء "الفاحش" الذي لا يخفى على الصغار ولا يصلح بعد ان تكرّ على دماغه المرار العديدة ولا عجب فقد لا تبقي "الثخانة" لصنوه اخرى مكانًا. وليعلموا ثانيًا ان قولهم "السماكة لم ترد في اللغة اصلاً" دعوى بلا دليل وهو مردود بدليل قول محيط المحيط "سمك الشيء يسمُك سماكةً كان سميكًا . والسميكُ ضد الرقيق" انتهى . أيحسبون هذا القول قولاً مختلقًا او مسترقًا من بيت ابيهم كما يختلقون الاقوال ويسترقونها ام غرضهم انكار فضل كلّ ذي فضل والتعنت على كلّ كاتب . فليحكم المنصفون

(١٢) وقالوا ان قول المقتطف "ان هذه الحيوانات تستكنّ في النهار" خطاء لان الاستكنان بمعنى الاستتار والمقتطف يريد به معنى السكون . وقال في محيط المحيط استكنّ الرجل استكانًا استتر ورجع الى الكنّ. والكنّ وقاء كل شيء وسترهُ والبيت. انتهى. فواضح مما تقدّم ان معنى الاستكنان الرجوع الى الكنّ اي البيت او الستر . فاسمع عبارة المقتطف وهي "ان هذه الحيوانات (يعني التي

في الدم) تستكنّ في النهار وتجول في الليل كانها الضواري تبيّت فرائسها تبييتاً" . انتهى . فكل من لم يجعل الله على بصيرته غشاوةً يرى ان مراد المقتطف هنا باستكنان الحيوانات نهاراً رجوعها الى اماكنها حيث تبقى منقطعةً عن اصطياد فرائسها كالضواري التي تستكنّ نهاراً اي تأوي الى كنّها وتجول ليلاً في طلب فرائسها. ثم قالوا "وفي هذا الموضع من النظر المعنوي ما نتركهُ الى ميلهِ كما تركنا غيرهُ من سائر المآخذ الواقعة على ما وراء اللفظ" انتهى . فما اصدق قول القائل

لو كنتَ تعلمُ ما اقول عذرتني او كنتُ اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني وعلمتُ انك جاهلٌ فعذرتكا

(١٣) وقالوا ان قول المقتطف "بعض شبان هذا الجيل" (واقتصروا عليهِ وكان الواجب ايرادهُ بتمامهِ وهو "بل بعض شيوخهِ") خطا "وانما الجيل الصنف من الناس كالعرب والفرس مثلاً . لا اهل الزمن الواحد كما توهّم المقتطف" كذا قالوا ولينهم يفهمون ما يقولون ألا يصح ان يكون مراد المقتطف من الجيل الامّة او الصنف من الناس . أولا يتعيّن ان يكون هذا مرادهُ لان كلامهُ موجّه الى هذا الصنف من الناس لا الى كل الاصناف العائشين في هذا الزمان . ولكن هذا التغليط موجّه لغير المقتطف فليس المقتطف بالقائل ذلك بل محيط المحيط وهذا نصهُ حيث قال "ويطلق الجيل توسّعاً على عمر الانسان وعلى مئة سنة وعلى اهل الزمان الواحد وذلك من كلام المولدين او هو مسموع من العرب . قال ابو الطيب المتنبي

وانما نحن في جيلٍ سواسيةٍ نخطي اذا جئتَ في استفهامهم بمن

يريد بالجيل اهل زمانهِ" انتهى * هذا ويشقُّ علينا ان نرى هؤلاء المتطاولين العاجزين ينكرون فضل كل ذي فضل ويتجمهون متنكرين على كتاب في اللغة اضحت فوائدهُ اشهر من نارٍ على علم فاين مقام المعترضين من مقامهِ واين علمهم من علم صاحبهِ تغمّدهُ الله برحمتهِ ورضوانهِ

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى غيرهُ منهُ ما لا يرى

والظاهر ان مراد المعترض من هذا الاعتراض الفاسد التعريض بانهُ شرح ديوان المتنبي على غير هذا النمط . فنحن لما كنا لا نريد لهُ الّا الخير ولو اراد لغيرهِ الشرّ بلا سبب نصح لهُ ان يراجع لفظة "الجيل" في تاج العروس قبل ان يتصدّى لتغليط العلماء

(١٤) ومن اغرب ما اضحكنا انتقادهم لقول المقتطف "فالعلم في صدورهم ميت لا يكاد يتاصّل ويورق حتى تلفحهُ حرور المماحكة" بالكلام التالي وهو "فاليت شعري اذا كان ميتاً فكيف يتاصّل ويورق والتاصّل والابراق لا يتمّان الّا بالحياة والميت لا حياة فيهِ" وتوهموا عند ذلك انهم بلغوا حدّ الاعجاز في البلاغة وجاؤا باقوى البراهين في الاعتراض حتى قالوا تهكّماً "ان عبارة

المنتطف هذه هي آية العلم والفلسفة" فلما قرأت اقوالهم الفسفية ! ووقفت على ادلتهم المنطقية ! دعوت صبيًّا من طلبة البيان وقلت قُلْ لي يا فلان. لماذا فصل المنتطف جملة "لايكاد ياصل" عن التي قبلها فاجابني لوجود شبه كمال الاتصال بينهما وهذا الفصل هو الاستئناف. مثاله البيت الذي جاء في عقد الجمان للشيخ ناصيف اليازجي

قال لي كيف انت قلتُ عليلُ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ

فكانه قيل ماذا قلت فقال قلت عليل ثم قيل ما سبب علتك فقال سهر دائم الى آخره. فالفصل في قول المنتطف استئناف فكأنه قيل له بعد قوله "والعلم في صدورهم ميت" ما سبب موته لان العادة انه اذا قيل مات فلانٌ يسأل عن سبب موته فقال انه "لا يكاد ياصل ويورق حتى تلفحه حرور المماحكة" فهذا كلام طالب يتعلم البيان وربَّ طالب صغير متضع يعلم شيخًا معجبًا مدَّعيًا

(١٥) بقي علينا ان نبسط الكلام على ثلث لفظات الاولى "البقاع" الواردة في قول المنتطف "الا بقاعًا لا تزال ذائبة" فهي غير جائزة الاستعمال في حكم المعترضين والسبب في عدم جوازها التعنُّت لا غير وليس للتعنّت جواب عندنا. هذا ولا يخفى على القارئ اللبيب ان البقعة هي القطعة من الارض على غير هيئة التي جنبها او التي يخالف لونها لون ما يليها او التي يستنقع الماء فيها كما في كتب اللغة. فاستعمال المنتطف لها صحيح لا يرتاب فيه عاقل كما هو ظاهرٌ. والثانية "القائمقامين" ويجب ان تكون في حكم المعترضين! فوالله المقامات! فهذه لا تستحقُّ ان نلتفت اليها لاسيما وان المنتطف لم يأت بها من عنده لانها عنوان فصل من الفصول التي جاءت في قانون اصول المحاكمات الجزائية ترجمة عرتانو نقولا افندي نقاش. فلما ذكر المنتطف فصول الكتاب المذكور في باب الهدايا والتقاريظ ذكرها من الجملة غير متعمِّد الانتقاد ولا التحطئة. ولا يجهل المعترضون ذلك وانما اوردوا اللفظة قصدًا للتحطئة ورغبةً في انكار فضل كل كاتب فاضل فلا يأمن جانبهم اديب ولا يسخلص طويتهم كاتب لبيب. والثالثة "علم" في قول المنتطف "يؤمن عدم انتقالها" قال المعترضون "والصواب ان يقال يؤمن انتقالها". فاصابوا ونحن لا ننكر ذلك بل نتصف خصمنا ولو جار. على اني لمَّا قابلت منشئي المنتطف في امر هذه اللفظة اراني المسودَّة الاصلية فاذا فيها "لكي يؤكد عدم انتقالها" ثم ارادوا ان يبدلوا لفظتي "يؤكد عدم" بلفظة يؤمن فحذف جامع الحروف لفظة يؤكد وترك "عدم" سهوًا. وان زعم المعترضون اننا نختلق عذرًا كما يختلقون العلل زورًا قلنا لهم راجعوا ما جاء في المنتطف قبلاً فقد وردت هذه اللفظة فيه كثيرًا. كقوله "بامنوا غوائلها" وجه ١٧٠ من السنة الثالثة. وقوله "يؤمن شرها بعض الامن" وجه ٢٧٢ من السنة الخامسة وهلمَّ جرًّا

هذا واما ما في كلام المعترضين من القذف والبذي فليس لهُ عندي جواب فاني قد تعلمت من اساتذتي منشئي المقتطف اجلّ الله قدرهما ان اغضي عن السفاهة واعرض عن الاقوال الخارجة عن دائرة الحشمة والادب وان لا اناظر الاّ في العلم ولو اراد الخصم الفرار منهُ بالقذف والشتم فالجاهل السفيه يندم والعاقل الاديب يمدح وكل اناء بالذي فيهِ ينضح

انطون الحدّاد

لغة الكتب العلمية والصناعية

لقد اعتاد قرّاء العربية مطالعة كتب الادب كديوان المتنبي والفارض وابن معتوق ومقامات الحريري والهمذاني ونحوها من المؤلفات التي تحرّى اللغة على الاخصّ فظن كثيرون ان كل ما يكتب بالعربية يجب ان يكتب على مثل هذا النمط بل قد تطرّف بعض الكتّاب من الطلاّب فصاروا لا يعدّون الكتاب كتابًا في اي فنٍّ كان الاّ اذا كان مسجّعًا تطرب المسامع قراءتهُ كثير التشبيه والمجاز متعدّد النكات البديعية وقد ذهلوا عن ان الكتب العلمية والصناعية التي ألّفها علماء العرب تحرّى المعنى اولاً واللفظ ثانيًا فاذا افاد اللفظُ المعنى المقصود اكتفوا بهِ ولو لم تطرب لهُ الاذن وتنبسط لنكتهِ النفس . ولمّا كان هذا المقام انسب ما يقرّر فيهِ ذلك في الاذهان اوردنا على صدق مقالنا شذرات مقتبسة من اشهر المؤلفين الذين رفعوا منار العلم واقرّوا الامّة العربية على عماد الفخر والمدنيّة

من ذلك في العقليات ما جاء في رسالة "في اثبات القوى النفسانية" لجالينوس العرب الشيخ الرئيس ابن سينا وهو بصدد "من رام وصف شيء من الاشياء قبل ان يتقدّم فيثبت اولاً ابيتهُ فهو معدود عند الحكماء ممّن زاغ عن محجة الايضاح فواجب علينا ان نتجرّد اولاً لاثبات وجود القوى النفسانية قبل الشروع في تحديد كل واحدة منها وايضاح القول فيهِ ولما كانت اخص الخواص بالقوى النفسانية شيئين احدهما التحريك والثاني الادراك فواجب علينا ان نبيّن ان لكل جسم متحرك علة محركة ثم يتبين لنا من ذلك ان الاجسام المتحركة بحركات زائدة عن الحركات الطبيعية كالهابطة الثقيلة والصاعدة الخفيفة لها علل محركة نسمّيها نفوسًا او قوى نفسانية وان نبين ان بعض الاجسام مهما رسم بانهُ مدرك فان ادراكهُ لن يصح نسبتهُ اليهِ الاّ لقوى فيهِ متمكنة من الادراك ونفتح ونقول ان ما لا يعاوق العقل فيهِ ريبة ان الاشياء منها ما اشتركت في شيء وافترقت في آخر وان المشترك فيهِ المفترق" الخ